إسماعيل صبري

١٨٥٤ – ١٩٢٣

شاعر بطبعه وسليقته، وطني بفطرته وحسن سريرته، أدرك عهد الاحتلال في إبان قوته وسطوته، فتحركت شاعريته، تجاهد الاستعمار، وتمجد المعاني الوطنية، وتخلدها في قصائد غر تشبه أن كون تغاريد من نبع القلب الصافي وفيض الإحساس المرهف والذوق الرفيع.

كان شاعراً رقيقاً مجيداً، عميق الوجدان، مقلا في شعره، محتاطاً في نشر ما تجود به قريحته، كان علماً من أعلام الطبقة الأولى من شعراء العصر الحديث، وثانيهم بعد البارودي.

ولد سنة ١٨٥٤ بمدينة القاهرة، والتحق بمدرسة المبتديان سنة ١٨٦٦، ثم بمدرستي التجهيزية والإدارة (الحقوق)، وأتم دراسته بمصر سنة ١٨٧٤، ثم ألحق بالبعثة المصرية إلى فرنسا، ونال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية "اكس" سنة ١٨٧٨، ولما عاد إلى مصر التحق بالمناصب القضائية حتى عين وكيلاً لوزارة الحقانية (العدل) سنة ١٨٩٩، واعتزل الخدمة في سنة ١٩٠٧.

ظهرت مواهبه الشعرية منذ نعومة أظفاره، وظلت تنمو وتزدهر طول حياته، وكانت شاعريته ووطنيته عنوان مجده وموضع فخاره.

كان معاصروه يلقبونه (شيخ الشعراء)، واعترف له بذلك زملاؤه، شوقي وحافظ ومطران وعبد المطب ونسيم وغيرهم، وإنك لتلمح تقدير شوقي لزعامته من قوله في رثائه:

أيـــام أمـــرح فـــي غبـــارك ناشـــئاً تهـج المهـار علـى غبـار خصـاف [1]
أتعلـــم الغايـــات كيـــف تـــرام فـــي مضـــمار فضـــل أو مجـــال قـــواف

ومن قول حافظ في رثائه أيضاً:

لقـــد كانـــت أغشـــاه فـــي داره ونـاديـــه فيهـــا زهـــا وازدهـــر
وأعـــرض شـــعري علـــى مســـمع لطيـــف يحـــس نبـــو الـــوتر

تتجلى في شعره القومي روح الحب الخالص للوطن، والشجو الحزين على مآسيه، والاستمساك بالعزة والكرامة، والشمم والإباء، ولقد عبر بأرق القصائد عن شعور مواطنيه، وترجم عن آمالهم وآلامهم.

كانت وطنيته عميقة الجذور، عاش حياته لم يزر إنجليزيا قط، ولم يذهب يوماً إلى الوكالة البريطانية، في حين أنها كانت مع الأسف مقصد الكبراء والعظماء في ذلك العهد، وطالما استماله اللورد كرومر إلى زيارته ليكسبه إلى صف المناصرين للاحتلال، فاستعصم وأبى، ولما قيل له لعلل لو فعلت كنت اليوم رئيساً للوزارة، قال: وماذا تفيدني رئاسة الوزارة غير إغضاب ضميري وإرضاء ذوي المطامع وأصدقاء الجاه [2].

كان صديقاً صدوقاً للزعيم مصطفى كامل، أيه في جهاده منذ الساعة الأولى ولم يكن يكتم مناصرته إياه في أي منصب تولاه.

كان محافظاً للإسكندرية سنة ١٨٩٦- ١٨٩٩، و أراد مصطفى كامل أن يلقي بها خطبة من خطبة الوطنية الكبرى، فأوعزت إليه الحكومة أن يمنع إقامة الاجتماع الذي أعد لإلقاء الخطبة، بحجة المحافظة على الأمن والنظام، فأبي صبري على الحكومة ما أرادت، ورخص بإقامة الاجتماع، و صارح الحكومة بأنه مسئول عن الأمن والنظام، وألقى وألقى مصطفى كامل خطبته.

ولما عين وكيلاً لوزارة الحقانية (العدل) في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ظل على مودته لمصطفى، وكان في غالب الأيام يخرج من الوزارة ويعرج بدار اللواء المقابلة لها ليزور صاحب اللواء ويقضي معه الوقت الطويل، ولم يمنعه منصبه من المجاهرة بصداقة له ومناصرته إياه في

---

(١) المهار: جمع مهرة وخصاف فرس مشهور في العرب.

(٢) ذكر هذه الواقعة الأستاذ أحمد الزين في مقدمته لديون إسماعيل صبري ص٣٢.

الوقت الذي كان الكبراء من الموظفين وغيرهم يخشون عواقب الاتصال به، وإلى ذلك يشير شوقي في رثائه لإسماعيل صبري إذ يقول:

ويح الشباب وقد تخطر بينهم ... هل متعوا بتمسح وطواف؟
لو عاش قدرتهم ورب (لوائهم) ... نكس (اللواء) لثابت وقاف
فلكم سقاه الود حين وداده ... جرب لأهل الحكم والإشراف

دعوته إلى الدستور

وإنك لتجد في شعر إسماعيل صبري انسجاماً مع سياسة مصطفى كامل وتمجيداً للوطنية ومناصرة للأمة في جهادها للحرية والاستقلال.

قال في قصيدة وجهها إلى الخديو عباس حلمي الثاني يوم عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ يدعو إلى الدستور.

سدد سهام الرأي (بالشورى) يحط ... بك منه في ظلم الحوادث فيلق
واسبق به واضرب به وأفتح به ... ما شئت من باب أمامك يغلق

حادثة دنشواي

وقال فيها يصور حادثة دنشواي ويصف فظائع الإنجليز فيها والعفو الذي أصدره الخديو عن مسجونيها.

وأقلت عشرة قرية حكم الهوى ... في أهلها وقضى قضاء أخرق
إن أن فيها بائس مما به ... أو رن جاوبه هناك مطوق [1]
وارحمتا لجناتهم ماذا جنوا؟ ... وقضاتهم [2] ما عاقهم أن يتقوا؟
ما زال يقذي كل عين ما رأوا ... فيها ويؤذي كل سمع ما لقوا

---

(١) المطوق: السجين.

(٢) قضاتهم أي قضاة المحكمة المخصوصة التي حكمت عليهم.

حتـــى حكمـــت فجـــاء حكمـــك آيـــة ... للنـــــاس طـــــي صـــــحيفة تتـــــألق
نزلـــت ترفـــرف حـــول كاتـــب نصـــها ... زمـــــراً ملائكـــــة الرضـــــى وتحلـــــق
شـــكرتك مصـــر علـــى ســـلامة بعضـــها ... شـــــكراً يغـــرب فـــي الـــورى ويشـــرق
ذكـرت لـك الصـفح الجميـل ولـم تـزل ... ترمـــي إلـــى أمـــر أجـــل وترمـــق [1]
قـــانون (دنشـــواي) ذاك صـــحيفة ... تتلـــى فترتـــاع القلـــوب ونخفـــض
هـــل يرتجـــي صـــفو ويهـــدأ خـــاطر ... والمـــوت حـــول نصوصـــها يترقـــرق؟
ومضـــاجع القـــوم النيـــام أواهـــل ... بمعـــذب يـــردي وآخـــر يرهـــق
لـــن تبلـــغ الجرحـــى شـــفاء كـــاملاً ... مـــا دام جارحهـــا المهنـــد يبـــرق
فـــاحكم بغيـــر العنـــف واكســـر ســـيفه ... فـــالحلم أجمـــل والمكـــارم أليـــق

رثاؤه لمصطفى كامل

وقد جزع لوفاة مصطفى كامل جزعاً شديداً، وشيع جثمانه على مرقده الأخير (يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨)، ووقف على قبره يلقي قصيدته في وداعه، ولم يكد يلقي البيت الأول منها وهو:

أداعـي الأسـى فـي مصـر ويحـك داعيـاً ... هـددت القـوى إذ قمـت بـالأمس ناعيـاً

حتى ظهر عليه التأثر الشديد والإعياء، ولم يستطع أن يتم القصيدة، وقد ألقاها في حفلة تأبينه، وتدل هذه القصيدة على مبلغ حبه له وإخلاصه لصداقته، وإعجابه به، وشدة حزنه عليه، فجاءت آية في بلاغة الرثاء، ورقة التعبير عن الحزن والألم، وكأن كل بيت فيها دمعة وفاء تذرفها عين الصديق على صديقه الحميم. قال:

أجـل أنـا مـن أرضـاك خـلا موافيـاً ... وبرضـيك فـي البـاكين لـو كنـت واعيـاً
وقلبـي ذاك المـورد العـذب لـم يـزل ... كمـا ذقـت منـه الحـب والـود صـافياً
سـوى أنـه يعتـاده الحـزن كلمـا ... رآك عـن الحـوض المهـدد نائيـاً
ويعثـر فـي بعـض الخطـوب إذا مشـى ... علـى بعـض مـا يهـوي فيرجـع داميـاً
وإن رامـه سـرب المسـرات لـم يجـد ... محـلا بـه مـن لاعـج الهـم خاليـاً

---

(١) يريد الدستور.

ألا عللانـــــي بالتعـــــازي وأقنعـــــا ... فـــؤادي أن يرضـــــي بهـــن تعازيـــا
وإلا أعينـــاني علـــى النـــوح والبكـــا ... فشـــأنكما شـــأني ومـــا بكمـــا بيـــا
ومـــا نـــافعي أن تبكيـــا غيـــر أننـــي ... أحـــب دمـــوع البـــر والمـــرء وافيـــا

* * *

أيـــا (مصـــطفى تـــالله نومـــك رابنـــا ... أمثلـــك يرضـــي أن ينـــام الليـاليـــا
تكلـــم فـــإن القـــوم حولـــك أطرقـــوا ... وقـــل يـــا خطيـــب الحـــي رأيـــك عاليـا
لقـد أوشـكت مـن طـول صـمت وهجـرة ... تخالـــك أعـــواد المنـــابر فانيـــا
وتبكيـــك لـــولا أن فيهـــا بقيـــة ... تعللهـــا مـــن ذلـــك الصـــوت باويـــا
فهـل ألقـت مـا بـين جفنـك والكـرى ... محالفـــة أم قـــد أمنـــت الأعاديـــا؟
فقـــدناك فقـــدان الكمـــي ســـلاحه ... وسـاري الـدياجي كوكـب القطـب هاديـا
وبتنـــا وقـــد بـــات رفاقـــك فـــي الثـــرى ... سـقايا الحيـا [1] نسـتبطئ الـدمع هاميـا
ولـــولا تـــراث مـــن أمانيـــك عنـــدنا ... كـــريم بكينـــا إذ بكينـــا الأمانيـــا
طـواك الـردي طـيء الكتـاب تضـمنت ... صـــحائفه مـــن كـــل فخـــر معانيـــا
مضـــاء إذا البـــيض انتمـــت لأصـــولها ... غضـــبنا إذا ســـماك قـــوم يمانيـــا
ورأي يجلـــي اليـــأس واليـــأس ضـــارب ... علـــى الأفـــق لـــيلاً فـــاحم اللـــون داجيـــا
إذا مـــا تقاضـــينا ولـــم تـــك بيننـــا ... ذكرناهمـــا حتـــى نجيـــد التقاضـــيا
فليتـــك إذا أعيبـــت كـــل مســـاجل ... قنعـــت فلـــم تعـــي الطبيـــب المـــداويا
وليتك إذ ناضلت عن مصر لم تفض ... مـــع الحبـــر قلبـــاً يعلـــم الله غاليـــا

* * *

لقـد ضـاع إخـلاص الطبيـب وحذقـه ... سـدى فبكـى الفخـر الـذي كـان راجيـا
ولـــم تنتهـــز تلـــك العقـــاقير فرصـــة ... تـرى النـاس فيهـا فضـل (بقـراط) باديـا
نحييـك سـيفاً بـات فـي التـرب مغمـداً ... تقلـــده فيمـــا مضـــى الحـــق ماضـــيا

---

(١) المطر.

مواساته لجرحى الحرب

ولقد كان له شعر حماسي يملأ القلوب أملا وشجاعة.

قال من قصيدة له مخاطباً عمر طوسون يشكوه على مواساته جرحى الحرب:

وكـم تعهـدت جرحـي مـن أسـود وغـي ... إن يكشـر الـدهر عـن أحداثـه كشـروا
مسـتنجداً مـن بنـي مصـر إلـى شـمم ... إذا رأوا ثلمـة فـي حوضـهم جبـروا
مسـتهمياً هاميـاً و(النيـل) فـي وجـل ... مـن أن تجـود بـه أيمـانكم حـذر

الوحدة بين العنصريين

وقال داعياً إلى الوحدة الوطنية بين عنصري الأمة:

عينـي فيـك اليـوم قبطيـة ... تـروي الأسـى عـن مسـلم موجـع
ويأخـذ البـر وآي الوفـا ... عـن الكتـاب الطيـب المشـرع

ومن قصيدة له حين اشتد الخلاف بني المسلمين والأقباط سنة ١٩١١ يدعو إلى الوحدة الوطنية:

خففـوا مـن صـياحكم لـيس فـي مصـر لأبنـاء مصـر مـن أعـداء

ديـن عيسـى فـيكم وديـن أخيـه ... أحمـد يأمراننـا بالإخـاء
مصـر أنـتم ونحـن إلا إذا قـا ... مـت بتفريقنـا دواعـي الشـقاء

مصـر ملـك لنـا إذا تماسـكنا وإلا فمصـر للغربـاء

تنديده بصنائع الاحتلال

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بسياسة مصطفى فهمي حين سقطت وزارته وكان موالياً للاحتلال خاضعاً له:

عجبـت لهـم قـالوا سـقطت ومـن يكـن ... مكانـك يـأمن مـن سـقوط ويسـلم
فأنـت امـرؤ ألصـقت نفسـك بـالثرى ... وحرمـت خـوف الـذل مـا لـم يحـرم

فلـو أسـقطوا مـن حيـث أنـت زجاجـة علـى الصـخر لـم تصـدع ولـم تـتحطم [1]

في الإباء وعزة النفس

ومن قوله في الإباء وعزة النفس، والزراية بالمتكبرين:

أيهـــا التائـــة [2] المـــدل علينـــا ويـك قـل لـي مـن أنـت؟ إنـي نسـيت
لـــو فرشـــت الطريـــق دراً لأخطـــو فوقـــه نحـــو داركـــم مـــا رضـــيت
أنـــا أغنـــى مـــن أن يقـــال فـــلان وفـــلان تـــزاورا مـــا حييـــت!

وقال في الاستمساك بالكرامة:

لكســـرة مـــن رغيـــف خبـــز تـــؤدم بـــالملح والكرامـــة
أشـــهى إلـــى الحـــر مـــن طعـــام يخـــتم بالشـــهد والملامـــة

يستنكر تعدد الزوجات

وقال يذم تعدد الزوجات:

يـــا مـــن تـــزوج بـــاثنتين ألا اتئـــد ألقيـــت نفســـك ظالمـــاً فـــي الهاويـــة
مـــا العـــدل بـــين الضـــرتين بممكـــن لـــو كنـــت تعـــدل مـــا أخـــذت الثانيـــة!

التوحيد والحرية

وله في تمجيد التوحيد والحرية كلمات بليغة وإن لم تكن شعراً إلا أنها تشبهه في النغم والرنين وقوة الأثر، وهي من الشعر المنثور البليغ. قال:

---

(١) أي أن مصطفى فهمي كان في منزلة دانية لا يؤلمه السقوط منها، بحيث لو أسقطوا زجاجة من ذلك المكان المنخفض لم تتكسر !.

(٢) التائه: المتكبر من التيه بكسر التاء.

أحب التوحيد في ثلاثة: الله. والمبدأ. والمرأة.

وأحب الحرية في ثلاثة:

حرية المرأة في ظل زوجها.

وحرية الرجل تحت راية الوطن.

وحرية الوطن في ظل الله.

تنديده بالظلم والاستعمار

قال في قصيدة له يخاطب (الدواة):

وإذا الظلـــم والظـــلام اســـتعانا ... يـــوم نحـــس بأجهـــل الجـــاهلين
واســـتمدا مـــن الشـــرور مـــداداً ... فاجعليـــه فـــي قســـمة الظالمينـــا

إلى أن قال:

وإذا كـــان فيـــك نقطـــة ســـوء ... كونـــت مـــن خيانـــة تكوينـــا
فاجعليهـــا قســـط الـــذين اســـتباحوا ... فـــي السياســـات حرمـــة الأضـــعفينا!

تنديده بالمستعمرين

قال ينعي على إيطاليا عدوانها على طرابلس (ليبيا) سنة ١٩١١ ويندد بما في فعلتها من الغدر ونقض العهود والمواثيق:

بعـــض هـــذا الجفـــاء والعـــدوان ... راقبـــي الله أمـــة الطليـــان!
قـــد مـــلأت الفضـــاء غـــدراً وجهـــلاً ... وتســـنمت غـــارب الطغيـــان
وبعثـــت الســـفين ترمـــي طرابلـــ ... ـــس بحـــرب مشـــبوبة النيـــران
تخـــرق البحـــر والمواثيـــق والعهـــ ... ـــهد جهـــاراً وذمـــة الجيـــران
ســـيرتها أضـــغان قـــوم لقـــوم ... ســـلموا مـــن دنـــاءة الأضـــغان [1]

---

(١) يرد بالذين سلموا من دناءة الأضغان العرب وهم المعتدي عليهم في هذه الحرب.

مـــن رآهـــا تجـــري تـــوهم أن الـــ ـــــقوم همـــــوا للثـــــأر للأوطـــــان
لا ورب الأســـطول مـــا حمـــل الأســـ ـــطول جيشـــاً إلـــى حمـــى الحبشـــان [1]
إن قـــوم الطليـــان أحـــرص مـــن أن يفضـــــحوا مـــــرتين فـــــي ميـــــدان

الامتيازات الأجنبية

وقال في هذه القصيدة يشير إلى الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدول الشرقية للأوروبيين قابلوها بالغدر والعقوق واتخذوها وسيلة للعدوان على هذه الدولة:

ويحهـــم مـــا لصـــنعهم أبطـــر القـــو م فعقـــوا مـــا كـــان مـــن إحســـان؟
ولمـــاذا تمخـــض الســـلم عـــن حـــر ب لظاهـــا يشـــوي الوجـــوه عـــوان؟
مـــنح قـــد بـــذرن ف يشـــر أيـــد كـــن مـــذكن منبـــت الكفـــران
هكـذا فلتـك المـروءات فـي عصرـ ـــر البهاليـــل مـــن بنـــي الرومـــان!

القوة سياج الاستقلال

وقال فيها يدعو إلى التسلح بالقوة للدفاع عن الذمار وصد مطامع الاستعمار ويحذر أمم الشرق من غدر الدول الاستعمارية وعدوانها وتبييتها الشر تحت ستار الود والصداقة:

لا يثـــق بعضـــنا بـــبعض وهـــذا مـــا أعـــد الإنســـان للإنســـان
إن تســـلم علـــى الغريـــب فســـلم فـــي ظـــلال الســـيوف والمـــران [2]
ربمـــا أصـــبح العنـــاق صـــراعاً فـــي زمـــان الآداب والعرفـــان [3]

---

(١) يشير بهذا البيت والذي يليه إلى هزيمة الطليان أمام الأحباش في معركة عدوه المشهور سنة ١٨٩٦ ويعيرهم بالسكوت عن الأخذ بثأرهم في هذه المعركة.

(٢) يريد المران الرماح أي القوة المسلحة.

(٣) في هذا البيت ينهكم بالدولة الأوروبية وما تنطوي عليه من الغدر ونقض العهود في عصر المدنية والعلوم والآداب.

التغني بعظمة مصر

وله قصيدة خالدة يتغنى فيها بعظمة مصر ومفاخرها، ويستحث مصر الحديثة على إحياء مجدها، قالها سنة ١٩٠٩ على لسان فرعون مصر يخاطب قومه ويبعث فيهم روح العمل لبناء مجد الدولة قال:

لا القـــوم قـــوم ولا الأعـــوان أعـــواني ... إذا ونـــي يـــوم تحصـــيل العـــلا وانـــي

إلى أن قال:

لا تقربـوا (النيـل أن لـم تعملـوا عمـلاً ... فمـــاؤه العـــذب لـــم يخلـــق لكســـلان
ردوا المجـــرة كـــدا دون مـــورده ... أو فـــاطلبوا غيـــره ريـــا لظمـــآن
وابنـــوا كمـــا بنـــت الأجيـــال قـــبلكم ... لا تتركـــوا بعـــدكم فخـــراً لإنســـان
لا تتركـــوا مســـتحيلاً فـــي اســـتحالته ... حتـــى يمـــيط لكـــم عـــن وجـــه إمكـــان
مقالـــة هبطـــت مـــن عـــرش قائلهـــا ... علـــى مناكـــب أبطـــال وشـــجعان
مـادت لهـا الأرض مـن ذعـر ودان لهـا ... مـــا فـــي المقطـــم مـــن صـــخر وصـــوان
يبنـــون مـــا تقـــف الأجيـــال حاشـــرة ... أمامـــه بـــين إعجـــاب وإذعـــان
مـن كـل مـا لـم يلـد فكـر ولا فتحـت ... علـــى نظـــائره فـــي الكـــون عينـــان
ويشـــبهون إذا طـــاروا إلـــى عمـــل ... جنـــا تطيـــر بـــأمر مـــن (ســـليمان)

***

(أمـــرامهم) تلـــك حـــي الفـــن متخـــذا ... مـــن الصـــخور بروجـــا فـــوق كيـــوان بمـــا
قـــد مـــر دهـــر عليهـــا وهـــي ســـاخرة ... يضـعف من صرح وإيوان ما يأخذ النمل
لـــم يأخـــذ الليـــل منهـــا والنهـــار ســـوى ... مـــــن أركـــــان نهـــــلان
جـــاءت إليهـــا وفـــود الأرض قاطبـــة ... تســـعى اشـــتياقا إلـــى مـــا خلـــد الفـــاني
فصـــغرت كـــل موجـــود ضـــخامتها ... وغـــض بنيانهـــا مـــن كـــل بنيـــان
وعـــاد منكـــر فضـــل القـــوم معترفـــا ... يثنـــي علـــى القـــوم فـــي ســـر وإعـــلان
تلـــك الهياكـــل فـــي الأمصـــار شـــاهدة ... بـــأنهم أهـــل ســـبق. أهـــل إمعـــان
إذا أقـــام علـــيهم شـــاهدا حجـــر ... فـــي هيكـــل قامـــت الأخـــرى ببرهـــان
كأنمـــا هـــي والأقـــوام خاشـــعة ... أمامهـــا صـــحف مـــن عـــالم ثـــاني

تستقبل العين في أثنائها صور ... نصيحة الرمز دارت حول جدران
لو أنها أعطيت صوتا لكان له ... صدى يروع صم الإنس والجان

وختمها بقوله:

أين الأول سجلوا في الصخر سبرتهم ... وصغروا كل ذي ملك وسلطان
بادوا وبادت على آثارهم دول ... وأدرجوا طي أخبار وأكفان
وخلفوا بعدهم حربا مخلدة ... في الكون ما بين أحجار وأزمان
وزحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا ... عليهم العلم ذاك الجاهل الجاني
ويل له هتك الأستار مقتحما ... جلال أكرم آثار وأعيان
للجهل أرجح منه في جهالته ... إذا هما وزنا يوما بميزان

إلى شوقي في منفاه

وكان على ود صميم مع شوقي، وحينما نفى شوقي من مصر خلال الحرب العالمية الأولى ظل على صلته، وكان شوقي قد أرسل إليه من منفاه بالأندلس سنة ١٩١٧ ببيتين من قصيدة له مشهورة [١] قال فيهما:

يا ساري البرق يرمي عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمي من مآقينا [٢]
لما ترقرق في دمع السماء دماً ... هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا!

فأجابه صبري بهذه الأبيات:

يا وامض البرق كم نبهت من شجن ... في أضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماء في مقل، والنار في مهج ... قد حار بينهما أمر المحبينا
لولا تذكر أيام لنا سلفت ... ما بات يبكي دما في الحي باكينا
يا آل ودعي عودوا لا عدمتكم ... وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا

---

(١) سيرد ذكرها في الحديث عن شوقي.

(٢) يرد شوقي أن البرق قد اقتبس اشتعاله من نار جوانحه وتخيل أن ما يهمي به البرق من المطر مشتق من دموعه.

يـــا نســـمة ضـــمخت أذيالهـــا ســـحرا أزهـــــار أنـــــدلس هبـــــي بوادينـــــا [1]

وقد عاش إسماعيل صبري كريم الخلق، صادقاً عيوفاً، أبياً وفياً لوطنه وأصدقائه، معتزاً بكرامته، صريحاً محباً للحق، بعيداً عن الزهو والخيلاء، وظل على هذه الأخلاق الفاضلة إلى أن توفى في ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ بعد مرض طويل، وخلف كنوز من الشعر والوطنية، والفضائل النفسية، أضفت على اسمه هالة من المجد والخلود.

(١) يخاطب صبري نسمة الأندلس التي عطرتها أزهار، ويعيش في جوها شوقي ويناجيها أن تهب عليه في مصر.